مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد13- العدد1/2022،ص ص236- 254

رهانات تحقيق الإثنوغرافيا الرّقمية، منهجيّة دراسة الجمهور الافتراضي

عبد اللطيف بوزير*
[1] جامعة سعيدة، الجزائر. Bouzir.abdo@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/05/01 ؛ تاريخ القبول : 2021/06/18 ؛ تاريخ النشر : 2022/01/30

الملخص

تهدف الدراسة التعرض، لطبيعة عمل الإثنوغرافيا على الخط، وآلية تحقيقها كمنهجية مهمّة في مجال البحوث الاجتماعية النوعية على الخط، لمقاربة الجماعات الثقافية الرقمية وجمهور الفضاء الرقمي، لتوسيع إدراكاتنا وفهم طبيعة الفضاء الافتراضي وعلاقته بالعالم الواقعي لحياة الناس، وفهم طبيعة الأدوات والطرق المنهجية النوعية لدراسته، من خلال توظيف وسيط منتديات المحادثة على الخط كوسيلة نموذجية براغماتية للاتصال التفاعلي غير المتزامن، يمكن من خلالها تفسير وتحليل البناءات التي يكونها الأفراد حول التكنولوجيا الرقمية في سياقاتهم المحلية الاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافيا الرقمية؛ الجمهور الافتراضي؛ منهجية البحوث النوعية على الخط؛ منتديات المحادثة على الخط؛ الإثنوغرافي الرقمي.

* **المؤلف المرسل**

Abstract

The study aims to examine the nature of the work of online ethnography, and the mechanism of its realization as an important methodology in the field of online social qualitative research, to approach digital cultural groups and the public of digital space, to expand our perceptions and understanding the nature of the virtual space and its relationship to the real world of people's lives, and to understand the nature of the methods and methodological qualitative methods of studying it, By employing the moderator of online chat forums as a pragmatic model for asynchronous interactive communication, it is possible to interpret and analyse the constructs that individuals make about digital technology in their local social and cultural contexts.

keywords; Digital Ethnography ; Virtual Audiences ; Qualitative Online Research Methodology ; Online Conversation Forums ; Digital Ethnographer.

(مقدمة) :

تقتضي منا دراسة الجماعات الثقافية الرقمية، وجمهور مستخدمي الوسائط الإعلامية والاتصالية الجديدة، تفحص وتتبع ممارساته وسلوكياته على تلك الوسائط الرقمية التفاعلية، وإنتاجاتها الرقمية وتوزيعها وتشمل، المواقع المستندة إلى HTML ومتغيراتها (على سبيل المثال، البوابات والمواقع الإخبارية، المدونات، الويكيز)، فضلا عن الاتصالات الحاسوبية CMC (على سبيل المثال، البريد الإلكتروني، ومنتديات المناقشة والحوار، غرف الدردشة، الرسائل الفورية، الرسائل النصية عبر الهواتف المحمولة) (www.sheridanc.on.ca، تم التصفح بتاريخ؛ 2016/06/23)،

وقد اجتذب هذين النموذجين من وسائط الإعلام والاتصال المستندين أساساً على شبكة الإنترنتwww، الباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية في السنوات الأخيرة، جالبةً معها قضايا جديدة ثرية تستدعي التحقيق والبحث فيها.

وهو ما تتكفل به الدراسات الإثنوغرافية في الفضاء الافتراضي (على الخط)، إذ تمكن من جمع المعطيات حول السلوكيات والاتجاهات والمعتقدات والتمثُّلات الثّقافية والإدراكات والدّوافع الخاصة بالأفراد وكذلك التأويلات انطلاقاً من الواقع الفيزيقي للأفراد من خلال تفاعلاتهم في ما بينهم فيزيقيا في الوسط المادي الذي يعيشون فيه، وأيضاً العلاقة بينهم وبين الأجهزة التقنية والاتصالية التي يستخدمونها ويتفاعلون عن طريقها ومعها كذلك، أو انطلاقاً من الواقع اللّامادي الافتراضي النّاتج عن دخول الأفراد والجماعات في نشاطات وعلاقات اتصالية افتراضية شبكية عن طريق استخدام وسائط الاتصال الرقمية، على رأسها الإنترنت وتطبيقاتها الإعلامية والاتصالية المختلفة.

بينما تشمل الإثنوغرافيا التقليدية الحياة وسط أفراد جماعة ثقافية في أثناء دراستهم، تطبق الإثنوغرافيا الرقمية "السيبرانية" (تعرف أيضا باسم إثنوغرافية الإنترنت، أو الإثنوغرافيا الافتراضية، أو إثنوغرافية النت (Netnoghraphy)، أو إثنوغرافية الشبكة (Webnoghraphy)، أو الإثنوغرافيا باستخدام الحاسوب، وما إلى ذلك) هذا الأسلوب وهذه المنهجية على الجماعات الثقافية الرقمية أو الجمهور الافتراضي ولكن بآليات وتقنيات منهجية جديدة (تي.في. ريد، 2018، ص.43 بتصرف).

لذلك وتأسيساً لما سبق، سيتم معالجة محتوى هذه الورقة من خلال الإجابة على التساؤلات البحثية التّالية؛

1- ما أهمية البحوث الإثنوغرافية الرّقمية (على الخط) وما الذي تتكفل به،
2- ما هي الخصائص المنهجية المتعلقة بدراسة الجمهور الافتراضي ورهانات تحقيقها،
3- ما هي صعوبات الإمساك بالمبحوثين (الجمهور الرقمي) في الفضاء الافتراضي،
4- ما محددات منهجية البحوث الاجتماعية النوعية من خلال منتديات النقاش على الإنترنت؟

I- لماذا الإثنوغرافيا الرقمية (على الخط)؟

إن المنهج الإثنوغرافي، يُمكّنُ الباحث من مقاربة الظواهر الناجمة عن استخدامات تكنولوجيا الاتصال الرقمي بمختلف أشكاله وسياقاته الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، كدراسة إثنوغرافيا مستخدمي محتويات إعلام المواطن، وإثنوغرافيا مستخدمي غرف الدردشة الالكترونية وإثنوغرافيا مستخدمي مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، وإثنوغرافيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال عموما، في مختلف المؤسسات الاجتماعية، وتمثلاتها الفردية والجمعية لدى الأفراد المستخدمين...، وغيرها من النّماذج المعقّدة لمظاهر الإعلام البديل ووسائط التفاعل الرقمية؛ أدواتها ومستخدموها.

ومن هذه الزاوية، تظهر أهمية البحوث الإثنوغرافية الإعلامية في اهتمامها بالسياق الذي تتواجد فيه تكنولوجيات الإعلام والاتصال على خلاف البحوث الإمبريقية التي اهتمت بالنتائج الكمية والعناصر الإحصائية، دون مراعاة للسياقات الاجتماعية والثقافية والقانونية المختلفة التي تحدث فيها عمليات الاتصال بأنواعها المختلفة، وعليه يرى البعض أن أهمية المنهج الإثنوغرافي في بحوث الإعلام والاتصال تكمن العنصرين التاليين (بوجمعة رضوان، 2007، ص 26)؛

✓ أن هذا المنهج يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي الاجتماعي الاقتصادي والتكنولوجي لكل التفاعلات الاتصالية الناتجة عن الاستخدامات المختلفة للوسائط الاتصالية الجديدة، وذلك على خلاف النماذج السابقة التي اهتمت بعناصر العملية الاتصالية دون الاهتمام بالسياق الذي تتواجد فيه هذه العناصر.

✓ كما يساهم هذا الأخير في تجاوز ما أسماه الفيلسوف André Akoun بحدود التوجه الإمبريقي، والذي يرى أنه إذا ما أُعتمد في الدراسات الاتصالية، لا يمكن إلا أن يعيد إنتاج أدبيات مهندسي الاتصالات الذين يختصرون مسار الاتصال في مخطط مرسل–رسالة–مستقبل–آثار على حد قوله.

وهو ما يذهب إليه قسايسية إلى ضرورة تجاوز المقاربة الكلية ذات النظرة الشمولية للمجتمع إلى المقاربة الجزئية التي تضع في حُسبانها الاختلافات السياقية خاصة في مجتمعاتنا الانتقالية ذات الخصوصيات المحلية الديمغرافية السوسيوثقافية والتاريخية وإعادة الاعتبارات للوحدة الاجتماعية الأساسية (الأسرة) ومفرداتها والجماعات المصغرة التي لها فضاؤها وسياقها السوسيوثقافي والتاريخي (قسايسية علي، 2012، ص 26)، الذي يُسيِّر ممارساتها وأفعالها وتعاملها مع وسائط الإعلام والاتصال الجديدة خاصة الإنترنت وأدواتها المتجددة، والذي يجعلها تتميز عن ممارسات وأفعال ونشاطات باقي الجماعات والوحدات الجزئية

(الأسر)، حتى وإن كانت تعيش تحت نظام اجتماعي وسياسي قانوني واحد، مع أن ذلك لا يمنعها من أن تدخل في تعاقدات واندماج مع تجارب الثقافات الأخرى في إطار التفاعلات الاجتماعية الرقمية الافتراضية والفيزيائية الواقعية.

وعلى صعيد آخر، يرى Domingo أن المنهج الاثنوغرافي في بحوث الاتصال، لا يقتصر فحسب على الكشف عن الاختلافات في العادات والممارسات، أو أنه يُعنى وفقط بتعريف تكنولوجيات الإعلام والاتصال من خلال التحري العلمي، والتركيز على الجماعات من خلال المقابلات المعمقة، بل هو عبارة عن مقاربة بنائية للتكنولوجيا، تمكن الباحث من أن يكون قادراً على تقديم فهم كامل للسياق الاجتماعي الذي يبنى حول التكنولوجيا على حد قوله (Domingo David, 2003, p 03)؛

ومن هذه الزاوية أصبح توظيف المنهج الإثنوغرافي ضروريا لفهم الفضاء الواقعي (Real)، في مقابل الفضاء الافتراضي (Cyber space)، كفضائين منفصلين أو متصلين لا يمكن لمناهج الكمية الإمساك بحدود التلاقي والانفصال بينهما، ونطرح هنا وجهة نظر؛ بأنه ومن أجل فهم المعاني والخبرات المتعددة للمستخدمين حول موضوع الإشكالية المحددة التي نريد دراستها، من الواجب التفكير جيدا حول Online وOffline، وعلاقات التفاعل المتبادلة والحدود بينهما؛

ويؤكد STEWART, 2000، على أن الإنترنت هي نفسها التي أصبحت في هذه الإيحاءات، جزءاً مدمجاً في الحياة الاجتماعية لشرائح مختلفة في المجتمع، بخاصيتها الديناميكية، وتأثيراتها المختلفة (Mann, Chris & Stewart, Fiona, 2000, p 141).

وكنتيجة لذلك، يمكن للاتصال عبر الإنترنت أو على الخط on-line communications، أن يُحلَّلَ في قدرته الخاصة على تشكيل المعاني، تشارك القيم، طبيعة واتجاهات السياقات الخصوصية التي تدمج في الفضاءات الافتراضية on-line environments.

وفي السياق ذاتُه HINE's في دراسته 2000 ,"Virtual ethnography" زودنا بمفاهيم جديرة بالذكر من أجل توسيع إدراكاتنا لدراسة "cyberethnography" إذ أن اعتبارات HINE's، ليس فقط في: كيف يستخدم الناس الإنترنت، ولكن كيف تعطي ممارساتهم معنى للإنترنت في سياقاتهم المحلية؟ (Hine Christine, 2000, p 07)،

وهكذا فإننا نفهم الإنترنت ووسائطها المتجددة ليس على أنها كينونة ثابتة، لأنه لا يوجد شيء في الإنترنت واستخداماتها إلا وهو يحمل معنى متأصل inherently meaningful أو وظيفي functional.ومثل باقي التكنولوجيات، استخداماتها تكتسب بالتعلم ومن أجل التعليم، ومحتوياتها الموجودة هي من أجل تقديم معانٍ لها، ومعانيها تلك تظهر من خلال الطريقة التي يستخدمها الأفراد بها ويتفاعل فيها.

وفي هذا الإطار فإن الحالة أو الوضعية المهمَّة The Status للإنترنت كموقع لتشكيل الجماعات المتماثلة والمنسجمة community-like، تُكتسب وتستمر وتتدعَّم وتحقق أهدافها من خلال الطرق والأشكال التي استخدمت، أُوِّلَتْ، وأُعِيدَ التأويل بها.

كما تسعى الدراسات الإثنوغرافية على الخط "Virtual ethnography"، لإبراز طبيعة الاتصال والترابط البيني والإبداعات والابتكارات المتبادلة connectedness and mutual creation، للحياة على الخط life online والحياة خارج الخط life offline،

وتسعى كذلك الدراسات الإثنوغرافية السيبيرية "cyberethnography"، ليس فقط إلى إبراز كيف يستخدم الأفراد الإنترنت ولكن إلى؛ كيف أن تلك الممارسات تجعل للإنترنت معنى في السياق المحلي "الاستعدادات الفردية" عبر استعادة الأحداث الماضية –الذاكرة التاريخية– وتمثلها في الممارسات الحالية retrospectively construct والخبرات الشخصية والجماعية في الزمان والمكان Temporal & spatial experience.

كما أنها تسعى إلى إبراز دور الشتات والأقليات من الجماهير المستخدمة للوسائط

الاتصالية الرقمية، في إعادة صياغة الحدود التقليدية في بحوث الجمهور، وأن التعاقدات العادية مع النصوص الإعلامية حتى الآن تبقى ذات معنى، حيث كشفت العديد من الدراسات إلى أن العرق والجنسية تتقاطع مع المحددات الاجتماعية والثقافية الأخرى مثل الجنس والنوع ومكان الميلاد والدين، ويكون تحقيق ذلك باستخدام منهجيات متكاملة لأفراد متحولين Mobile Subjects, Mobile Methods (Fay Michaela, 2007, p 11).

كذلك أهم نتائج الدراسات الإثنوغرافية لإنتاج المحتويات وتبادلها بين المستخدمين في المجال العمومي الافتراضي انطلاقا من ساحات الحوار التفاعلية، تضع في الاهتمام ثلاث عناصر أساسية لدراسة المجتمعات الافتراضية منهجيا وذلك بالتركيز على (بسيوني حمادة ابراهيم، 2008، ص 34)؛

نوع الرسائل المتبادلة،

نمط الاستجابة لها،

أسلوب التفاعل بين المستخدمين.

II- رهانات الإثنوغرافيا على الخط في إمكانية الإمساك بالجمهور الافتراضي (المبحوثين):

بمجرد التفكير في القيام ببحث إثنوغرافي على الخط، لدراسة إشكالية معينة تبادرت إلى أذهاننا من خلال ملاحظتنا وتفحصنا لحالة الواقع الذي نعيش فيه، تُطرح في مخيلتنا العديد من الأسئلة التي تسعى لفك الغموض واللُّبس المنهجي والنظري حول الموضوع ومنها؛

- كيف يمكن الوصول إلى المشاركين المحتملين واستجوابهم أو الجمع بين أدوات الاتصال بهم ومشاركتهم في تفاعلاتهم عبر الفضاء الافتراضي؟

من أجل تحديدهم في العصر الحالي في وسط هذا التبعثر الهائل لأفراد الجمهور في كل الأماكن الأخرى المشتتة وغير المنتظمة، بالتناظر مع مكان تواجدنا نحن (الباحثين)؟

- أين تكمن بالتدقيق الحدود في هذا الحقل البحثي من حقول النشاطات؟ أي بين الباحث

وبين المبحوثين في الفضاء الافتراضي والوضعية التي يلعبها ويشغلها الباحث في هذا الفضاء المعقد والمتشابك.

❖ العديد من الخصائص المنهجية التي يجب التنويه بها عند دراسة الجمهور الافتراضي والتي سجلتها العديد من الدراسات في هذا الحقل البحثي مثل دراسة Fay, 2007 (Michaela Fay, op.cit , p 15)؛

➢ القيام أو الاستغراق (التورط) في المجموعة التي تؤطر البحث أو المشروع،

إذ هناك عناصر مهمة خلال الملاحظة بالمشاركة observing participation، تعطي للباحث فرصة تخزين المعلومات في مخيلته أثناء مشاركته مع المجموعة البحثية في كل النشاطات التي تقوم بها، والتي تُقيَّدُ من خلال وأثناء الكتابة، بعض الخبرات، تلاقي الانطباعات الأولى المترسخة في ذهن الباحث مع بعضها، التي تترك آثارها في الذاكرة، التحمس لجمع المشاركات عن طريق "fieldnotes"، الباحث الإثنوغرافي "the ethnographic researcher" عادة ما يتوقع العودة إلى حقل البحث.

➢ التزام الدقة في هذه الدراسات على الخط تقتضي العمل بعيدا عن الفهم التقليدي للبحوث الإثنوغرافية التي تقوم في غالب الأحيان بدراسة الأفراد والمجموعات في مكان آخر "دخيل"، يضطر الباحث الإثنوغرافي للانتقال إليه، والتقيد والمكوث به طوال مدة سيرورة البحث. أيضا مواكبة وتوجيه البحث، أما الإثنوغرافي الافتراضي يصعب عليه تحديد مبحوثيه في الزمان والمكان بسهوله "research participants are not easily located" بالرغم من أن الجمهور المشارك في الجماعات الافتراضية لديهم وقت مفضل مشترك واعتيادي "اللحظة السيكولوجية" يكون أكثر ثباتاً في نفس الفضاء الفيزيقي، إلا أنه يجب على الباحث المثابرة وتكثيف الجهد لرسم الحدود بين الفضاءات "الحدود المكانية" لفضاء البحث، والتي تبنى من خلال استرجاع الأحداث الماضية المترسخة في الذاكرة، لكيفية

الانتقال من المواقع المادية إلى المواقع الافتراضية. على حد قول الباحثة؛

➢ كذلك في البحث الإثنوغرافي على الخط يجب على الباحث معالجة عدة مستويات من التحليل وهي التساؤلات التي تصادف أي باحث في هذا الحقل وتبرز في التالي؛

1- منها ما هو متعلق بالمفاهيم some conceptual،

2- ما هو متعلق بالمألوف أو الاعتيادي some ordinary، [ذلك اللاّشيء (المسكوت عنه) والذي هو كل شيء بتعبير غوفمان]

3- ما هو متعلق بالممارسة some practical.

➢ كما أن البحوث الإثنوغرافية لا تبدأ كلها في الفضاء الافتراضي كما أشار إلى ذلك HINE's, 2000 (Hine, Christine, op.cit , p 74)، إنما منها ما يبدأ بمجموعة من المقابلات وجها لوجه face-to-face interviews مع المشاركين في البحث لمعرفة الوقت الذي يبدأ فيه الدراسة على الخط واكتساب الخبرة في التعامل مع المبحوثين ثم الدخول ثانية لحقل البحث، كبداية مفتوحة للسيرورة البحثية الكاملة، والتي تتضمن إعادة تموضع re-positioning الباحث الإثنوغرافي نفسه، في مشروعه، حقله البحثي، وتحوله من عنصر مشارك ***"participant/member"*** إلى باحث ***"researcher"***، والمبحوثين المشاركين، وما يقتضي منه النفاذ إليها experience of initiating a cyber study، أي كيفية دخوله في عضوية مجموعة افتراضية معينة لها شعائرها وطقوسها الخاصة بها، ومتى يكون أول اقتراب من المبحوثين الافتراضيين، وانطلاقا من أي "قاعدة تقنية" technical platforms، مثلا عن طريق إرسال إيميلات بقائمة متكونة من عناصر مجموعة البحث وعناوين إيمايلاتهم، تحتوي على تعليمات حول كيفية التسجيل في النوع المختار من القاعدة التقنية نيوز جروب، فوروم، مواقع التشبيك الاجتماعي...

➢ الإحساس بالشعور المشوش mixed feelings لدى الباحث عند بداية الدراسة

على الخط يضطره إلى تحويل وضعيته الخاصة في هذه المجموعة لتصبح مُشَكِّلة جزءاً مهمّا من حياته الشخصية من أجل تمكينه من دراسة نوع التفاعلات، كما أشارت إلى ذلك GAJJALA's, 2002 (GAJJALA's Radhika, 2002 , pp.177-193).

II.1- صعوبات الإمساك بالمبحوثين في الفضاء الافتراضي:

تطرح هذه الصعوبات إشكالية أساسية من منطلق مجال الخصوصية في الفضاء العام والخاص Public/Private الافتراضي، حيث أن هنالك أخلاقيات البحث التي لا تسمح للباحث الوصول إلى نوع معين من المعلومات حول المستخدمين أو النشاطات التي يقومون بها، فهي تعتبر عائقا أمام تحقيق الهدف الرئيسي للبحث بشكل علمي ومقنع إن نظريا أو منهجيا، حيث تقول GAJJALA, 2002 بأن التّساؤلات المطروحة والتي تتبادر هي؛ من هو الإثنوغرافي who is an ethnographer، ومن ذا الذي يتصف بالموضوعية، وما هي الخاصية التي يجب أن يبعدها ليكون كذلك(Ibid, p.179.)، لأن وكما يشير Chris MANN and Fiona STEWART, 2000، بأن التفاعلات الافتراضية تتطلب بأن تُترجَم في شكل لغة أو كلمات مبتكرة معبرة وليست صامتة "to be expressed as words" (Mann, Chris & Stewart, Fiona, 2000, P.141)، وبتعبير آخر؛ بأن "الافتراضي" من الصعب ملاحظته ومحاصرته ، ولا يمكن أن يُفَسَّر ويحلَّلَ مباشرة وبشكل دقيق،

كذلك من الصعوبات مشكلة التجاوب والاهتمام والتعاون من قبل المبحوثين حول مشروع البحث، وقابليتهم لمشاركة أفكارهم وتجاربهم مع الباحث؛

وفي هذا الإطار تعتبر الدراسة التي قامت بها Fay Michaela, 2007 مثال جيد عن نوعية البحوث الإثنوغرافية على الخط، التي تطرقت فيها إلى دراسة شبكة من جمهور المشاركين في الجامعة الدولية للبنات "التكنولوجيا والثقافة"، المقامة في ألمانيا، وكيفية تفاعلهم داخل هذه الشبكة ذات المشاركة الكونية في فضاء ifus الافتراضي الواسع،

أعطت من خلالها وصفا للاهتمامات المنهجية والتحديات والصعوبات التي واجهت البحث طيلة مدة إنجازه؛ واستكشفت اهتماماتُها المنهجية انشغالين رئيسيين؛

- التساؤل حول المنزل والانتماء؟ وحول كيفية ظهور هذه المفاهيم في حراكات الحياة المعاصرة للمستخدمين،
- استكشاف الكيفية المنهجية لتسيير البحوث على الخط، وكيف يمكنها أن تصبح المنهجية أو الوسيلة الفعالة التي تعكس على نحو ملائم طبيعة "الحراك" ليس فقط للأحداث والوقائع للجامعة ifus ولمحيطها الافتراضي الواسع، ولكن أيضا الطرق التي يستخدمها المشاركون في التفاوض حول الانتماء والحراك في عوالمهم الشخصية، وشبكة الجامعة، لأن ذلك يعبر عن سياقات متغايرة وثقافات متنوعة لأفراد الجمهور المستخدم لهذا الفضاء الافتراضي (Fay Michaela, op.cit, p 15).

III- منهجية البحوث الاجتماعية النوعية من خلال منتديات النقاش على الإنترنت:

تشكل الأدوات الإثنوغرافية على الخط وسيرورات الاتصال، موضوع بحث مهم بالنسبة للباحثين في مجال الشبكات الاجتماعية réseau social، ويتركز البحث فيها أساساً على المنهجية النوعية للبحوث الاجتماعية، مع إدماج الأدوات والطرق المنهجية التقليدية في الإطار "الفضاء" الافتراضي، لكن هذه الوضعية تقتضي منا ضرورة طرح التساؤل حول أن؛ هل هذه الأدوات والوسائل جديدة في حد ذاتها، أم أنها مجرد امتداد للوسائل التقنية التقليدية، أم هي نفسها؟ وهل أن سيرورة العملية الاتصالية تتشكل من وسائط اتصال جديدةnouveaux médias أم من أشكال جديدة من التحقيق nouvelles formes d'enquête؟ (Arriazu Muñoz, Rubén, 2007, p 02).

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى إنه من المنطقي القول بأن الإنترنت هي أداة اتصالية جماهيرية (شعبية) تحتوى العديد من الخصائص الملازمة والمميزة لها، لذلك يوضع

في الحسبان أدواتها المدمجة instruments adaptés التي تغدوا محل أسئلة مفصلية؛ حول لَعِبُ الدَّورِ نَفْسُهُ من قبل الباحثين في هذا الميدان الجديد؟ وبأي مقدار يؤثر في تحديد السياق الافتراضي الداخلي le contexte Virtuel à l'intérieur المساعد؟ (Ibid, p 02).

وللإجابة عن هذه الأسئلة انطلاقا من وجهة نظر منهجية وبراقماتية نختار كأداة نموذجية؛ منتدى النقاش forum de discussion، كفضاء لتدفق الاتصال غير المتزامن communication asynchrone [الذي يمكن تعريفه على أنه، مساحة افتراضية أين يمكن لمجموعة محددة من المستخدمين الدخول إلى الشبكة عن وعي، من أجل المشاركة في إنتاج وتقاسم المعارف، المشاركة و/أو عرض وجهات النظر حول موضوع أو اهتمامات عامة ومشتركة]؛ ويستدعي ذلك كذلك شرح هذه الأداة التفاعلية في سياق اجتماعي إمبريقي، الذي يستخدم كثيرا في مقاربة وقياس الفضاءات الواقعية والمحسوسة، في البحوث التقليدية، والتي أصبحت بدورها حاليا عاجزة عن احتواء الظواهر التي تجرى في داخل هذه الفضاءات الافتراضية.

ومن أجل تجميع معلومات صحيحة على منتدى النقاش بصورة منهجية صحيحة فلا بد من اتباع خطوات علمية دقيقة، عن طريق تجميع مجموعة من الأدوات التي يكون اختيارها حسب نوعية كل طريقة منهجية، وفي كثير من الأحيان يتم توظيف عدة طرق بالتوازي، عن طريق تجميع من جهة، أرضيات تحليل في إطار العلوم الاجتماعية التقليدية، ومن جهة أخرى ضرورة تطوير أخرى بديلة تتجاوب مع تطور البحوث على الخط؛ والتي تتطلب التفكير والتطوير النظري ليس إلى حد كبير بالنسبة للنظريات والبراديقمات العامة، وذلك في إطار مستويات ثلاثة؛

– المستوى الأول، ما يسمى بالأنموذج السوسيوتقني "paradigme socio-technique"، إذ إن المقاربة النظرية النوعية يمكنها إعطاء معنى وتبرير لتطوير الاستمارات على الخط

questionnaire en ligne، من هذه الجهة فإن المقاربة النوعية ترتبط بإجراء مقابلات نصف موجهة على الخط entrevue semi-structurée en ligne،

– المستوى الثاني، عند النزول إلى الجانب المنهجي، هناك حلول أخرى غير مستقرة، يتم البحث فيها لتبرير البحث الاجتماعي على الخط [لأنه لا توجد طريقة معينة لشرحٍ كاملٍ للطبيعة المعقدة لبنى الاتصالات الاجتماعية عبر وسيط الإنترنت] (Gómez, Edgar, 2002, p .25)

وانطلاقا من هذا التدليل نصل إلى طرح تساؤل أساسي، كيف نفكر في طريقة للبحث الاجتماعي تكون مفترضة وأساسية للبحث على الخط؟ ويكون ذلك بتوظيف قاعدة من الأدوات للتجميع التقني للمعلومات في البحوث الاجتماعية على الخط.

– المستوى الثالث، غياب المعلومات حول المشاكل الخصوصية المتواجدة في الوحدات القاعدية للبحث الافتراضي، تنعكس على الأبعاد الأكثر خصوصية الموضحة في آخر هذا المثال، منتدى المحادثة le forum de discussion، الذي يعتبر من الأدوات والمصادر الأساسية الكفيلة بتجميع المعلومات على الخط، باستخدام المقاربة النوعية paradigme qualitatif وبالتخصيص الإثنوغرافيا على الخط l'ethnographie virtuelle (Arriazu Muñoz, Rubén, op.cit, p17).

ومن هذه الزاوية وكما هو متعارف عليه في العادة في البحوث الاجتماعية على الخط من خلال منتدى النقاش، مثل المحادثة والاتصال غير المتزامن، والمتزامن؛

يجدر بنا قبل شرح بعض التعليمات الأساسية لإقحام منتدى النقاش في الدراسة على الخط، التنويه بميزات استخدامه للتمييز بين نوعي الاتصال المتزامن واللامتزامن، وميزة التفاعلية في الوقت الحقيقي للمحادثة بين المستخدمين (المبحوثين)، وطبيعة المعلومات المراد الوصول إليها من كل نوع من الاتصال وإمكانية تحليلها وتفسيرها.

إذ أن الأسباب الرئيسية لتوظيف أداة منتدى النقاش في البحث على الخط تتجسد في عاملين أساسين أحدهما؛ خصوصيات الوسط les spécificités du milieu، سرعة التّفاعلات والاتصال la vitesse de connexion، وإمكانية تحول وتقليص الاتصال net-split (Ibid, p 08)، والآخر وهو مهم أيضاً، ثقافة الاتصال المهيمنة في هذا الوسط، حيث يشير Mayans, 2006، إلى أن الذي تخرجه منتديات النقاش هو هذا الفضاء الاجتماعي المتغير، الزائل، والهزلي، المنتج للنسيج الاجتماعي، الجماعات الاجتماعية، الروابط الجماعية بخصوص موضوع أو قضية محددة ومشتركة (Mayans, Joan, 2006, p 06).

لذلك يعد منتدى النقاش كمنظومة سوسيو-تقنية مثالاً جيّداً لبناء وتطور التّفاعل الاجتماعي المصطنع على الخط، حيث أن قوته كما يذهب إليه DOMÍNGUEZ & ALONSO, 2004 هي قدرته على البناء المشترك لتفاعلات الجمهور في الفضاء الافتراضي (Domínguez, Daniel & Alonso, Laura, 2004, p 07).

III.1- أشكال جديدة من التحقيق في الوسائط الرقمية -منتدى النقاش على الخط-

- **وظيفة التحقيق أو التصنيف**

أخذ فكرة منتدى النقاش كأداة لجمع المعطيات في البحث الاجتماعي على الخط يستوجب التفريق بين؛

الجلسة الأولية conseils primaires، منتديات النقاش هي تلك المصممة تحت الهدف الواضح من إجراء التحقيق ويتم استخدام مجموعة من الأدوات من أجل إنشاء بيئة افتراضية أي مجموعة من المستخدمين، يعرضون آرائهم بشأن موضوع ذي صلة بموضوع البحث.

لوحات الجانب، في منتديات النقاش وهي تلك المصممة قبليا ومفتوحة للجمهور، حيث يقوم الباحث بجمع الحجج والخطابات المتعلقة بموضوعه (Arriazu Muñoz, Rubén, op.cit, p 08).

✓ **اعتبارات عامة**

حول إقحام منتديات النقاش في البحوث الاجتماعية على الخط؛

يستوجب تعريف وشرح خصائص التصنيفات الأساسية لفهم هذا المنتدى الحواري كوسيلة تفاعلية، في الشبكة.

والسؤال المطروح هنا هو كيفية التكيف مع هذه الأداة للحصول على معلومات صالحة على الخط؛ يتم ذلك عن طريق،

➢ وضع الأساس المنهجي لتوجيه استخدام هذه الأداة من أجل توصيف القواعد الأساسية لإدماج منتدى النقاش الافتراضي في إطار البحث الاجتماعي على الخط، من الواجب عليها أن تكون ضرورية لتلبية المتطلبات الفنية التالية؛

Forum de discussion figure modérateur / gestionnaire ينبغي أن ينسب منتدى النقاش للباحث، هذه الوظيفة للشخص تظهر من خلال فهم وتسيير فضاء منتدى النقاش كذلك تحفيز وتشجيع النقاش بين هؤلاء المشاركين. إذا تقلدت هذه الوظائف التمثيلية، يجب عليك أن تكون على علم تام بالديناميات التي تحدث في منتدى المناقشة، كما هو الحال في التشكيلات الاجتماعية التقليدية، حيث يتم التحقيق بتحديد المشاركين من خلال مجموعة من المتغيرات (Ibid, p 09).

تقتضي منهجية البحوث الاجتماعية النوعية من خلال منتدى النقاش على الإنترنت، تحديد الخصائص الاجتماعية الديمغرافية لكل فرد، مما يجعل الاختيار المتوقع على درجة ملائمة، لتقديم كل واحد من تلك الملفات، مقارنة بهدف الدراسة المعنية، ويجب على هذه المعلومة أن تحتفظ بالمجهولية والسرية والموثوقية لحقوق كل عضو.

❖ تصميم البرنامج؛ يجب أن تكون سهلة وبديهية قدر المستطاع للمستخدم (المبحوث)، وبالتالي الدعم الفعال الذي يمكن من تجاوز المشاكل البنيوية التي تنتج عن التفاعل المحيطي

في هذه الحالة، الإنترنت، فيما يتعلق بدينامية منتدى النقاش المسير/ والموجه؛ ينبغي أن يشرح للمشاركين المبادئ التوجيهية التشغيلية العامة للقيام بذلك، تشغيل منتدى النقاش برسالة ابتدائية بمعلومات مكثفة حول الجوانب التالية (Arriazu Muñoz, Rubén, op.cit, p 11)؛

- أشكال التشغيل بين الأعضاء،
- المدة الزمنية القاعدية لمنتدى النقاش،
- المشاركون يتلقون الدعوات، والموضوع المطروح للنقاش.

خلال تنفيذ منتدى النقاش يجب على المسير أو المدير الالتفات إلى العوامل الأساسية التالية التي تظهر من خلال عملية التفاعل؛

- المشاركة وتنشيطها للمستخدمين،
- معلومات عن طريق البريد الالكتروني عن آخر الأخبار والمساهمات التي يتم إجراؤها في منتدى النقاش،
- رسائل التحكم التي تشكل نوعا من التحذير لبعض أو كل المشاركين،
- اقتراح أبعاد موضوعاتية جديدة تتعلق بموضوع الدراسة،
- الحفاظ على الخصوصية وعدم الكشف عن هويته لكل أعضاء منتدى النقاش.

بعد الانتهاء من الجدول الزمني المحدد للمشاركة في منتدى النقاش ومكافئة المشاركين وجمع المعلومات وتصنيفها والمساهمات التي تم القيام بها خلال العملية "يجب أن تكون جميع القصص معالجة بكونها ظواهر اجتماعية والتي تحدث، أو هي منصبة ومحتواة في السياقات الخاصة" (Hammersley Martyn & Atkinson, Paul, 1994, p 141).

الخلاصة والنتائج

يرتكز البحث في الأدوات الإثنوغرافية على الخط وسيرورة الاتصال والبناءات المكونة من قبل جمهور المستخدمين حول الإنترنت أساساً على؛ منهجية البحوث النّوعية المطبقة

على الفضاءات الرقمية الافتراضية، التي أصبحت مهمّة للباحثين في مجال الوسائط الاتصالية الرقمية واستخداماتها السياقية المختلفة، لأجل تحديد طبيعة الممارسات والسلوكيات الناتجة عنها. لتحقيق ذلك على الباحث الإثنوغرافي تحديد دوره بدقة في ميدان البحث، عن طريق رسم الحدود المكانية لفضاءات البحث، للتمكن من تحديد الجمهور المشارك في الفضاءات الافتراضية أثناء اللحظة السّيكولوجية.

للقيام بالبحث الإثنوغرافي على الخط، هناك عدّة مستويات من التّحليل يتوجب على الباحث معالجتها وهي؛منها ما هو متعلق بالمفاهيم، ما هو متعلق بالمألوف أو الاعتيادي، ومنها ما هو متعلق بالممارسة، لذلك يعد منتدى النقاش كمنظومة سوسيو-تقنية مثالاً جيّداً لتشخيص هذه المستويات من خلال، البناء وتطور التّفاعل الاجتماعي المصطنع على الخط، حيث أن قوته هي قدرته على البناء المشترك لتفاعلات الجمهور في الفضاء الافتراضي.

يعتبر منتدى المحادثة le forum de discussion، من الأدوات والمصادر الأساسية الكفيلة بتجميع المعلومات على الخط، باستخدام المقاربة النوعية qualitatif paradigme وبالتخصيص الإثنوغرافيا على الخط، التي ترتبط بإجراء مقابلات نصف موجهة على الخط entrevue semi-structurée en ligne، كما أن هناك مسارات منهجية وحلول غير مستقرة، يتم البحث فيها لتبرير البحث الاجتماعي على الخط، لأنه لا توجد طريقة معينة لشرحٍ كاملٍ للطبيعة المعقدة لبنى الاتصالات الاجتماعية عبر وسيط الإنترنت.

– المراجع :

1. http://www.sheridanc.on.ca/news/releases/newmedia/definition.html تم استرجاع المادة بتاريخ 2016/06/23.

2. بوجمعة رضوان .(2007). أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل- محاولة تحليل أنثربولوجي -، (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر3.

3. علي قسايسية.(2011). جمهور الوسائط الاتصالية ومستخدموها، من المتفرجين إلى المبحرين، دراسة نقدية لأبحاث تلقي الرسائل في المجتمعات الانتقالية وفي الجزائر، الطبعة الأولى، الجزائر، دار الورسم للنشر والتوزيع.

4. تي.في. ريد .(2018). (تر. نشوة ماهر كرم الله)، الحياة الرقمية والسلطة والتغير في عصر الإنترنت. لبنان: العبيكان. تم التصفح إلكترونيا بتاريخ 2018.08.23.

5. Domingo David .(2003). Ethnography for new media studies, a field report of Weaknesses, communication studies. Spain, University of Rovira i Virgili.

6. Mann, Chris & Stewart, Fiona .(2000). Internet communication and qualitative research. Sage. London.

7. Hine, Christine .(2000). Virtual ethnography. London: Sage.

8. Fay Michaela .(2007). Mobile Subjects, Mobile Methods: Doing Virtual Ethnography in a Feminist Online Network, Volume 8, No. 3, Art. 14 September 2007.

9. بسيوني حمادة ابراهيم.(2008). دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام. ط1، القاهرة. عالم الكتب، طباعة نشر وتوزيع.

10. Gajjala, Radhika (2002). An interrupted postcolonial/feminist cyberethnography: Complicity and resistance in the cyberfield. Feminist Media Studies, 2(2).

11. Mann, Chris & Stewart, Fiona (2000). Internet communication and qualitative research. A handbook for researching online. London: Sage, p:141.

12. Arriazu Muñoz, Rubén (2007). Nuevos medios o nuevas formas de indagación?: Una propuesta metodológica para la investigación social on-line a través del foro de discusión, p:02.

13. Gómez, Edgar (2002). Hacia la construcción de una metodología para el estudio de las comunidades virtuales.

14. Mayans, Joan (2006). Etnografía virtual, etnografía banal: La relevancia de lo intranscendente en la investigación y la comprensión de lo cibersocial, p:06.
15. Domínguez, Daniel & Alonso, Laura (2004). Metodología para el análisis didáctico de foros virtuales.